الإحالة: دراسة في ديوان نفائس المنح وعرائس المدح لمحمد بن جابر الأندلسيّ ـ قصيدة "في كلّ فاتحة للقول معتبرة" نموذجا ـ

Reference– A Study in the "Diwan of Nafa'is al-Minah wa Aara'is al-Madh "by Mohammed Ben Djaber al-Andalussi – The Poem of "Fi KoliFatiha Lil KawlMoetabara as a Model –

سليمة دغو*
جامعة باتنة-1-
https://orcid.org/0009-0008-4835-0671
Email: Salima.deghou@univ-batna.dz
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

زغدودة ذياب
جامعة باتنة -1-
Email: zeghdouda.diab@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2023-02-26 تاريخ القبول: 2023-05-04

ملخص:

يعدّ النّصّ التّربة الخصبة التي تنمو فيها الإحالة، لما تقوم به من ربط بين الجمل والعبارات التي تتألّف منها النّصوص، ممّا يجعل النّصّ لحمة واحدة، بما تمتلكه من أدوات كالأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والضّمائر، وغيرها...، وبعد تتبّع الظّاهرة ورصدها في القصيدة، خرج البحث بنتائج أهمّها ـ: الإحالة في القصيدة تنوّعت بين الإحالة المقامية والإحالة إلى سابق والإحالة إلى لاحق، ممّا ساهم في بناء القصيدة وترابطها النّصيّ.

الكلمات المفتاحية:إحالة نصيّة، إحالة مقاميّة، إحالة إلى سابق، إحالة إلى لاحق.

Abstract:

The text is the fertile soil in which the referral grows, because of the link between the sentences and the phrases that make up the texts, which makes the text a single cohesion, with its tools such as relative nouns, demonstrative nouns, pronouns, etc..., and after tracking and monitoring the phenomenon in The poem, and the research came out with the most important results: The referral in the poem varied between the referral to a previous one or a referral to a later one, and a metaphorical referral, which contributed to the construction of the poem and its textual coherence.

Keywords:textual reference, contextual reference, pronouns, relative pronoun, demonstratives, referring to the previous, referring to the later

* المؤلف المراسل

مقدمة:

اتّفق مفهوم مصطلح علم النّص مع مفهومي نحو النّص ولسانيّات النّص من حيث الدلالة؛فهو يعني مجاوزة البنية اللّغويّة الصّغرى (الجملة) في التّحليل والوصف، إلى فضاء النّص الواسع. ولم يعد النّص مجرّد مجموعة من الجمل المتتاليّة، بل أصبح وحدة شاملة، مترابطة الأجزاء،تلعب فيها مجموعة من الوسائل اللّغويّة دورا في خلق هذه الشّموليّة وهذا التّرابط، وهذه الوسائل التي حدّدها دي بوجراند وذكرها عنه صبحي إبراهيم الفقّي تتمثل في: السّبك والحبك والقصد والمقبوليّة والإخباريّة والمقاميّة والتّناص؛ فيصبح النّص بها وكأنّه جسد واحد، فعلم النّص إذن هو العلم الذي يهتمّ بالنّص، ولا يعني هذا إهمال الجملة، بل تظلّ الجملة المنطلق الأوّل نحو علم النّص.

وإذا كان السّبك يعني "الكيفيّة التي يتمّ بها ربط العناصر اللّغويّة على مستوى البنيّة السّطحيّة للنّص"، فإنّ الإحالة تعدّ من أدوات السّبك، وتنقسم إلى: إحالة نصيّة:وتتفرّع إلى إحالة قبليّة وبعديّة؛ حيث تحيل اللّفظة المستعملة إلى لفظة متقدّمة أو متأخّرة عنها، وتتمّ بواسطة الضّمائر،وغيرها.وإحالةمقاميّة فيها يحيل عنصر من النّص إلى شيء خارجيّ؛ حيث ترتبط لغة النّص بسياق المقام.والمقال يروم البحث في أداة الإحالة، واخترت من النّصوص بعض أبيات قصيدة "في كلّ فاتحة للقول معتبرة " للشّاعر الأندلسيّ محمّد بن جابر الهواري، من ديوانه "نفائس المنح وعرائس المدح" في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلم. وحتى يتسنّى ليسبر أغوار الموضوع طرحت الإشكاليّة الآتية:كيف يمكن للإحالة أن تمدّ جذور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة داخل المقطوعة المختارة وخارجها؟وقد تبلورت عن هذه الإشكاليّة مجموعة من الأسئلة هي:

ما هي أنواع الإحالة التي حفلت بها قصيدة الشّاعر؟ وما مدى مساهمة أنواع الإحالة في ربط وتماسك بنية القصيدة ومعناها؟

ولمعالجة هذا الموضوع اتّبعت المنهج الوصفيّ مع آلية التّحليل، واستعنت بالمنهج الإحصائيّ لتتبّع الظّاهرة ورصدها في القصيدة، أمّا عن أهمّ الكتب المعتمدة فهي: النّص والخطاب والإجراء لدى بوجراند، والإحالة في شعر أدونيس لداليا أحمد موسى، وعلم اللّغة النّص والمفاهيم والاتّجاهات لسعيد حسن بحيري وغيرها....

1-الإحالة في عرف اللّغة والاصطلاح:

يعد مصطلح الإحالة مصطلحا مشتركا بين العديد من التّخصّصات؛ فهو في اللّسانيّات بين علم الدّلالة وعلم النّحو والتّداولية والأدب ولسانيّات النّص، وفي العلوم القانونيّة والإداريّة بين القانون الإداريّ والقانون القضائيّ، وفي الفلسفة بين المنطق والعلاقة بين الأسماء والمسمّيات.ويقابل مصطلح "الإحالة" في المعجم الأجنبيّ لفظة(référence) التي تترجم بالإحالة والإسناد والمرجع والإرجاع، وتترجم أيضا بالإشارة[1]، والإحالة في اللّغة هي من الفعل: أحال، يحيل، ومن معانيها:

1 ـ الحركة أو التّحرّك؛ فقد جاء في معجم مقاييس اللّغة: "الحاء والواو واللّام أصل واحد، وهو تحرك في دور، فالحَولُ العام...، يقال: حَالَ الرَّجُل في مَتن فَرسه يَحُولُ حَولًا وحَؤُولًا، إذا وَثَبَ عليه، وأَحَالَ أيضًا، ومنه استَحَلت الشّخص، أي نظرت هل يَتَحَرَّك"[2].

2 ـ الفساد، التّغيّر والتّحوّل؛ يُقال: أَحَلتُ الكلام أُحيلُهُ إذا أَفسَدته، والحوَالُ: كلّ شَيء حَالَ بين اثنين...، والحوَالَةُ تَحويل ماء من نهر إلى نهر[3].

3 ـ التّحوّل من حال إلى حال؛ أحال الرّجل، تحوّل من شيء إلى شيء[4].

4 ـ التّغيّر؛ ورد في المعجم الوسيط: "أحالت الدّار أي تغيّرت ... وأحاله: نقل الشّيء إلى غيره"[5].

5 ـ الإحالة على المعاش، الإعفاء من العمل؛ أنهى خدمات العامل وجعله يتمتّع بمعاش شهريّ.

6 ـ الإحالة على المدير: إحالة القضيّة عليه، ورفعها، وجعلها مقصورة عليه لينظر فيها.

7 - أحاله على القضاء: طلب محاكمته، وقاضي الإحالة: هو الذي يُنقل إليه المتّهمون ليتولّى سماعهم، فإمّا يودعهم السّجن، وإمّا يخلي سبيلهم[1].

---

[1] محمد الأمين مصدق، (2016م)، الإحالة في ضوء علم اللغة النصيّ، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ص96.

[2] ابن فارس، (1979م)، مقاييس اللغة، مادة حول، تح: عبد السلام هارون، ط2، دار الفكر، 1/ 327.

[3] ينظر: ابن منظور، (1997م)، لسان العرب، مادة (حول)، ط6، دار صادر، بيروت، ص 186-190 .

[4] ينظر: الزبيدي محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس، مادة (حول)، ط1، المطبعة الخيرية، مصر.

[5] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (حول). ط1، ص348.

أمّا الإحالة في الاصطلاح، فهيعند جون لاينز(**J.Lyons**) ، "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات...، فالأسماء تحيل إلى مسميّات" [2]، وقد قالوا: إنّ "أسماء الأعلام ليس لها أيّ معنى، لأنّ قيمتها الدّلاليّة تتمثّل في إحالتها"، "فأسماء الأعلام تنبئ ولكنّها لا تعني"[3].

وفي تعريف روبرت دي بوجراند (**Robert de Beaugrande**): "العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجيّ الذي تشير إليه العبارات"[4]. فالإحالة هي علاقة بين عنصرين؛ أحدهما المحيل والثّاني المحيل عليه، مع تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصرين، وهي تقوم بين المتكلّم والمخاطب، في موقف تواصليّ معيّن، يحيل فيه الأوّل الثاني على ذات معيّنة[5].

أمّا الأزهر الزّناد في كتابه (نسيج النص)، فقد ذكر تحت مفهوم الإحالة أنّ هذه التّسمية تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب[6]. وعرّفها أحمد المتوكّل بأنّها: "علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب، إن في الواقع أو المتخيّل أو في خطاب سابق أو لاحق[7]"، وبذلك يكون أحمد المتوكّل، قد قسّم الإحالة إلى داخليّة وخارجيّة وإلى إحالة قبليّة وبعديّة.

---

[1]ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة الموقع الإلكتروني تاريخ 2022/12/9. https //www.arabdict.com/ar

[2]J.Lyons. Linguistique général.traduit par David Robinson.editeurLarousse 1970. Université de L'Etatde Pennsylvanie 2009. P.383

[3]ينظر: ستيفان أولمان، (1997م)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ط12، دار غريب،القاهرة، ص82.

[4]روبر ت دي بوجراند، (1998م)، النص والخطاب والإجراء، تر. تمام حسان، ط1، عالمالكتب، القاهرة، ص 122.

[5]ينظر:أحمدالمتوكل، (1996م)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، ص 134.

[6] الأزهر الزناد، (1993م)، نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، ص 121.

[7]أحمد المتوكل، (2010م)، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 73.

وتتمّ الإحالة عن طريق التّمثيل الذّهنيّ، فيختلف السّابق عن اللّاحق، حيث التّذكير والتّأنيث، والمفرد والجمع: قال الأوّل: جاءت السّائقات لحضور السباق، وقال الثّاني: جميعهم يتأهبون للانطلاق، إنّ في ردّ الثّاني (جميعهم) ولم يقل جميعهن، راجع للتّمثيل الذّهنيّ الذي يقيمه الأوّل في تصوّره لصورة المتسابقين عادة هم الذّكور. وتكون الإحالة عندما نتحدّث عن عودة الضّمير؛ فإذا كانت العودة على متقدّم فهي الإحالة السابقة، وإذا كانت العودة على متأخّر فهي الإحالة اللّاحقة. وتقوم على "استخدام كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة الكلمات التي تليها في النّص"[1]. ولتوضيح ذلك، نتناول الإحالة وإسهاماتها في بناء النّص،وترابطه عند الشّاعر محمّد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسيّ الهواري: في كلّ فاتحــةٍ للقـول مُعتبَـرَهْ من ديوانه"**نفائس المنح وعرائس المدح**".

في كلّ فاتحــةٍ للقـول مُعتبَـرَهْ °°° حقّ الثناءُ على المبعوثِ بالبقرة
في آلِ عمرانَ قِدْما شاعَ مبعـثهُ °°° نساؤُهم والرجالُ اسْتَوضَحُوا خبرَهُ
من مدَّ للناسِ من نُعماهُ مائدةً °°° عمت فليست على الأنعامِ مقتصره
أعراف نُعماهُ ما حلَّ الرجاءُ بها °°° إلا وأنفالُ ذاك الجودِ مبتذره
به توسلَ إذ نادى بتوبته °°° في البحر يُونسُ والظلماء معتركه
هودٌ ويوسفُ كم خوفٍ به أمنا °°° ولن يُروع صوتُ الرعدِ من ذكرَه
مضمونَ دعوةِ إبراهيم كان وفي °°° بيت الإله وفي الحجر التمس أثرَه
ذُو أمةٍ كدوى النحل ذكرُهُم °°° في كل قُطرٍ فَسبحان الذي فطره
بكهفِ رُحماهُ قد لاذَ الورى وبه °°° بُشرى ابن مريمَ في الإنجيلِ مُشتهرَه
سماهُ طهَ وحضَّ الأنبياءَ على °°°حجِّ المكانِ الذي من أجلهِ عمرَه
قد أفلح الناسُ بالنورِ الذي غمرُوا°°° من نُورِ فُرقانــه لما جلا غُرَرَه
أكابر الشعراءِ اللسن قد عجزوا°°° كالنمل إذ سمعت آذانهم سورَه
وحَسْبُه قصَصُ للعنكبوتِ أتىَ°°° إذْ حاكَ نسْجًا ببابِ الغارِ قد سترَهْ
في الرّومِ قد شاعَ قِدْمًا أمرُه وبه °°° لقمانُ وُفِّقَ للــدُّرّ الذي نثــرَهْ
كمْ سجدةً في طُلَى الأحزابِ قد سَجَدَتْ°°° سيُوفُه فأرَاهُم ربُّهُ عِبرَهْ

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. ج1، دار ضياء، القاهرة، ص 40.

سبَاهُم فاطِرُ السّبْعِ العُلا كرَمًا °°° لِمَنْ بِيـَاسـِين بين الرسلِ قدْ شهرَهْ
في الحربِ قد صُفَّتْ الأملاكُ تنْصُرُه °°°فصارَ جمْعُ الأعَادي هازِمًا زُمَرَهْ
لغافِرِ الذّنْبِ في تفْصِيلِه سُوَرٌ °°° قد فُصّـلِتْ لمعـانٍ غيرِ منحصرة
شُوراهُ أن تهجرَ الدُّنيا فزُخْرُفُها °°° مثلُ الدّخانِ فيُغشِي عينُ مَنْ نظرَهْ
عزّتْ شريعتُه البيضاءُ حينَ أتَى °°° أحقافَ بدرٍ وجندُ الله قد حضرَهْ

الشّاعر شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسيّ الهواري، عاش في عصر المنظومات التّعليميّة، التي قدّمت قواعد العلوم والفنون في قالب من الشّعر، تسهيلا لحفظها[1]، وكان الشّاعر كثير النّظم، عالما بالعربيّة وفنونها، وبالقرآن والحديث والفقه، وأخذ عنه الجزريّ، حين تحدث عنه وقال: "شيخنا إمام بارع" [2]، والقصيدة مطوّلة تحتوي على ستة وخمسين بيتا،رتّب الشّاعر أبياتها حسب ترتيب السّور القرآنيّة، منطلقا من سورة الفاتحة، ومنتهيا عند سورة النّاس، ليختم القصيدة بذكر آل المصطفى صلّى الله عليه وسلم وصحبه السّادة الأخيار.وتضمّنت القصيدة حسّ الشّاعر الوجدانيّ المتدفّق تجاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

2-الإحالة الضّميريّة في القصيدة:

المضمر مصطلح بصريّ، والكوفيّون يطلقون عليه لفظ الكناية، وبالضمير تستر الاسم الصّريح، وهو "ما وضع لمتكلّم أو مخاطب أو غائب تقدّم ذكره لفظا أو معنى أو حكما"[3]، ودلالته من النّاحية اللّغويّة على الغيبة والتّستر، "ومنه أضمرت في ضميري شيئا إذا غيّبته في قلبي وصدري، وأخفيته، بحيث يصعب الوقوف عليه"[4]. والضّمير كلمة جامدة تدل على عموم الغائب والحاضر[5]. وقد تحدّث ابن هشام عن روابط الجملة،

[1] ابن جابر الأندلسي، (1985م)، الحُلة السِّيرا في مدح خير الورى، تح: علي أبو زيد، ط2، عالم الكتب، بيروت، ص 9.

[2] شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري، (2006م)، غاية النهاية في طبقات القراء، نشره برجستراسر، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ص 55.

[3]بدر الدين بن جماعة، شرح كافية ابن الحاجب، تح: محمد محمدداود، دار المنار، القاهرة، ص 194.

[4]لسان العرب، ابن منظور. مادة (ضمر)، ج4، ص492.

[5] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ص 122.

وذكر أنّ الضمير هو الأصل، يربط به مذكورا ومحذوفا ، وعدّد المواضع التي يعود الضّمير فيها على ما تأخّر لفظا ورتبة [1]، ممّا يجعل الإضمار غير ممكن قبل المذكور، إلّا في الحالات التي عُددت؛ فقد منع جمهور النّحويين تقديم المفعول المتضمّن ضميرا يعود على الفاعل المتأخّر مثل: أرضعت ابنتَها الأمُّ، وقد جوّز بعض النّحاة ذلك، لأنّ المتأخّر (الفاعل) يتّصل بالفعل ومرتبطا به، فهو متقدّم رتبة وقصدا، والضّمائر في النّص مهما كان نوعها، لابدّ من شيء يفسّرها، ويوضّح معناها والمراد منها[2]، وفي حال تعدّد المرجع نبّه العلماء إلى أنّ الضمير يعود على المفسّر الأقرب إليه.قال ابن مالك: "إذا ذكر ضمير واحد بعد اثنين فصاعدا، جُعل للأقرب ولا يُجعل لغيره، إلّا بدليل من خارج" [3]، وقال أبو حيّان الأندلسيّ في قوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ **التوبة/33** "في عودة الضّمير ثلاثة أقوال: هو محمّد صلّى الله عليه وسلم ، والهدى (التّوحيد)، أو القرآن أو بيان الفرائض...، ثمّ قال: والظّاهر أنّ الضّمير في (ليظهره) عائد على الرّسول صلى الله عليه وسلم...؛ أي ليعلّيه على أهل الأديان كلّها"[4]، وضرب لنا مثلا: لو قلت : جاءني زيد وعمرو أكرمته ، فالهاء تعود على الأقرب وهو عمرو، وقد يكون لغير الأقرب إذا دلّ دليل نحو: اشتريت جوادا وغلاما ركبته؛ الضمير للجواد. وتتمّالإحالة بتكاتف كلّ أنواع الضّمائر، فتجعل النّص متراكبا متماسكا، يقول أحمد عفيفي: "المتأمّل للإحالة يرى أنّها الوسيلة الأكثر قوّة في صنع التّماسك الشّامل للنّص، وتجسيد وحدته العامّة"[5]، وهذا يظهر عند الوقوف على دلالة النّص؛ حيث نجد أنّ فهم

---

[1] جمال الدين بن هشام الأنصاري، (2005م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ص 458.

[2] عباس حسن، (2007م)، النحو الوافي. ج1، ط16، دار المعارف. القاهرة. ص 255.

[3] جمال الدين بن مالك الجياني الأندلسي، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح:عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط1،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر،4/ 461.

[4] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان النحوي الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل،دار الفكر بيروت،لبنان، ص 160.

[5] أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص دراسة في الدلالة والوظيفة. الجزء الثاني، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، ص 531.

جزء معيّن منه يتطلّب فهم الجزء الآخر منه، وبذلك تتّسع وظيفة الإحالة من التّرابط اللّفظيّ إلى التّرابط المعنويّ أو الدّلاليّ.

والشّاعر في الأبيات المختارة لم يذكرالرّسول صلّى الله عليه وسلم، ولكن أشار إليه بـ "المبعوث بالبقرة"، وهي إحالة إلى القرآن الكريم، وإلى سورة البقرة. فحين نتأمل الأبيات نجد الضّمير (هاء الغائب المذكر المفرد) يغلب عليها، وهو ضمير يعود على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أغلب الأبيات، وهي كلّها إحالات قبليّة: (مبعثه، خبره، نعماه، رحماه، به، ذكره، فطره، سماه، اجله، فرقانه، سوره، حسبه، ستره، أمره، نثره، سيوفه، ربّه، شهره، تنصره، تفضيله، شوراه، شريعته)، فربط بين أجزاء النّص شكلا ودلالة، فأحكم شدّ البنى النّصية والجمل بعضها إلى بعض، وضمير الغائب بديل عن إعادة الذّكر للاسم الذي ذكره في الأوّل وهو "المبعوث بالبقرة". والأبيات حافلة بالأحاسيس الصّادقة نحو الرّسول صلّى الله عليه وسلم؛ فقد ربط الشّاعر بين حبّه للرّسول وما جاء به من شريعة سمحاء؛ فهو مرّة يذكر اسم السّورة كما ورد في المصحف الشّريف، ومرّة أخرى يشير إليها في سياق الكلام. إن المبعوث بالبقرة هو من شاع مبعثه في آل عمران لمّا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ **آل عمران/ 164**، وهو الذي في سورة النّساءيُستفتى في أمور الدنيا، فيفتي بما أمره الله؛ كالاعتراف بالحقوق والابتعاد عن الظّلم، وأكل أموال النّساء والمستضعفين، وهو الذي أُمر أن يبيّن للنّاس ما أحلّ لهم من نعم، فقال تعالى: ﴿**قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾ **المائدة/ 4**، وهي كلّ ما فيه نفع أو لذّة، من غير ضرر بالبدن، ولا بالعقل، كما قال السّعدي، أمّا في سورة الأعراف فقد قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**ۚ ﴾ **الأعراف/32**، وفي سورة الأنفال قال تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيم**﴾ الأنفال/ 69.

أمّا في سورة يونس فقد أشار الشّاعر إلى توسّل أهل مكة للنبيّ صلّى الله عليه وسلم، ومعاملة الله لهم كمعاملة قوم يونس إذ آمنوا عند رؤية العذاب، وبادروا إلى الإيمان بعد أن فارقهم يونس، وتلك حالهم عندما تسامعوا بقدوم جيش غزوة الفتح...، فيكاد يحلّ بهم عذاب استئصاليّ، لولا أنّهم عجّلوا بالإيمان يوم الفتح فقال لهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم : "أنتم الطّلقاء"[1]، وفي قول الشّاعر: (هود ويوسف كم خوف بها أمنا)؛إشارة إلى سورة هود ويوسف، لما ذكر في هاتين السّورتين من القصص ، حيث قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ** ﴾ **هود/ 120**، **وقوله في سورة يوسف:** ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك أَحْسَن الْقَصَص** ﴾ يوسف/ 3، فقد احتوت الآيتان من قصص الأنبياء وأحوال الأمم السّابقة ما فيه تأمين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم من اختلاف أمّته، و ما فيه زيادة ليقينه ، بأنّ عاقبته النّصر على أعدائه، حتى يزداد صبرا وعلما[2]، ولِيَكُونَ لَه بِمَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانه الْمُرْسَلِينَ أُسْوَة، هؤلاء أنجاهم الله مع من آمن معهم، وأهلك الكافرين. أمّا في سورة الرّعد فقد تحقّق بها الأمن والأمان، لكلّ من روّعه الرعد عندما يقول: "سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته"،التي كان ابن الزبير يرددها إذا سمع الرّعد[3]، أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وامتثالا لما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ** ﴾**الرّعد/ 13.** أمّا ما تضمّنته دعوة إبراهيم عليه السّلام في سورة إبراهيم، في قوله تعالى على لسانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمَنًا**﴾ **إبراهيم/ 35**، أي: مكّة فاستجاب له ربّه. قال السّعدي في تفسيره: "فإنّك ترى مكّة المشرقة كلّ وقت، والثّمار فيها متوفّرة، والأرزاق تتوالى إليها من كلّ جانب"، وقال ابن عاشور: الوادي وهو وادي مكّة، وقد أقحم لفظ الأفئدة لإرادة أن يكون مسير النّاس إليهم عن شوق ومحبّة، حتى كأنّ المسرع هو الفؤاد لا الجسد...، ومحبّة النّاس لهم يحصل معها محبّة البلد وتكريم زيارته" [4].

وفي قول الشّاعر (في الحجر ألتمس أثره)، يقصد به الرسول صلّى الله عليه وسلّم؛ حيث تضمّنت سورة الحجر خطابا له من ربّه في قوله تعالى:﴿ **ولقد آتيناك سبْعًا من المثاني والقرآنَ العظيمَ**﴾**الحجر/** 87، وهو أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون. وفي

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 12/ 289.

[2]محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 192/12 ـ 193.

[3] مالك بن أنس، (2013م)، كتاب الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ج2، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، باب القول إذا سمعت الرعد، ص 992.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 13/ 241 ـ 242.

سورة النّحل، تعود الهاء في (فطره) عليه صلّى الله عليه وسلّم. ثم جاء إلى السّورة التّالية في التّرتيب وهي سورة الإسراء وذكرها بما استهلّت به:﴿ سُبْحَانَ **الذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلًا﴾الإسراء/ 1**، قال السّعدي في تفسيره: "وأراه الله من آياته، ما ازداد به هدى وبصيرة، وثباتا، وفرقانا...، حيث يسّره لليسرى، في جميع أموره، وخوله نعما فاق بها الأولين والآخرين"[1]. وقال ابن عاشور: "واعلم أن تقوية يقين الأنبياء من الحكم الإلهيّة، لأنّهم بمقدار قوّة اليقين يزيدون ارتقاء على درجة مستوى البشر، والتحاقا بعلوم عالم الحقائق ومساواة في هذا المضمار لمراتب الملائكة"[2]. كما عادت (الهاء) عليه صلّى الله عليه وسلّم في كلمة (سماه)، ليقرن بين السّورة التّالية واسمه، وهي سورة طه، كذلك الهاء في قوله (من أجله)، والهاء في قوله (غرره)، وفي قوله (سوره)، وفي قوله (حسبه وستره)؛ ففي سورة القصص وعد عظيم بالتّمكين للرّسول صلّى الله عليه وسلم، بعد خروجه من مكّة، عاد إليها آمنا، ظافرا ومؤيّدا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ القصص/85**، ثم يأمره بأن يدعو إلى الله، بغضّ النّظر عن النتيجة التي قد تكون استجابة المدعوّين أو إعراضهم، ﴿**وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ القصص/ 87.** وأمّا في سورة العنكبوت فقد أحالنا الشّاعر على ما حاكته العنكبوت على باب الغار حفظا له صلّى الله عليه وسلّم ولصاحبه أبي بكر الصديق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تحزنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ التوبة/ 40**، والاثنان هما النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأبو بكر: بتواتر الخبر، وإجماع المسلمين كلّهم،والغار هو الذي اختبأ فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأبو بكر حين خروجهما مهاجِرَيْن إلى المدينة، وهو غارٌ في جبل ثَوْر خارج مكّة إلى جنوبها، بينه وبين مكّة نحو خمسة أميال، في طريق جبليّكما قال ابن عاشور. والشّاعر وهو يرتّب سورة الرّوم يحيلنا بقوله: "قد شاع قِدْما أمْرُه" على حادثة ذكرت في كتب الحديث، فقد روى التّرمذيّ: أنّ المشركين كانوا يحبّون أن يظهر أهل فارس على الرّوم، وكان المسلمون يحبّون أن يظهر الرّوم على فارس، فغلبت فارس،

[1] سورةالإسراء،تفسير السعدي، الموقع الإلكتروني بتاريخ 2022/08/23. https //ar.islamway.net/quran/interpretation/saadi/17

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 21/15.

ولمّا ذكر أبو بكر ذلك للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، قال: "أمّا أنّهم سيغلِبون"، فكان ذلك سابقة في الأمر قبل حدوث الغلبة، بعدها نزلت هذه الآية، وكان بين غلبة الفرس وغلبة الرّوم بضع سنين، وهي دون العشرة، هذا الوعد بالنّصر من الله سبحانه وتعالى، القادر على نصر المغلوب فيجعله غالبا، فالوعد الصّادق الذي تحدّى به المشركين، فكان النّصر للرّوم معجزة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتأييدا له وكرامة للمسلمين[1]. ثمّ يكمل الشّاعر ترتيب السّور القرآنيّة، ويضمّنها مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلم، بإحساس فائق؛ فتأتي سورة لقمان التي تضمّنت من القصص عجيب حال لقمان في الاهتداء والحكمة، التي عني بها أهل التّربية وأهل الخير، فذكر القرآن منها:﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾**لقمان/ 13**، قال ابن عاشور:" وجدنا من حكمة لقمان ما يقارب سبعين حكمة"[2].بعد سورة السّجدة ذكر سورة الأحزاب التي تضمّنت دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى للمؤمنين عناية لهم ولطفا، وتحقيرا لعدوّهم؛ فأيّدهم بجنود لم يروها، وأرسل على أعدائهم ريحا شديدة أزالت خيامهم، وماجت خيلهم بعضها في بعض وهلك كثير منها ومن الإبل، فقال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ **الأحزاب/9.**

وفي قول الشّاعر (سباهم) ترتيبا لسورة (سبأ)، وأشار بـ (فاطر السبع العلا) إلى سورة فاطر، وفاطر وصف لله فهو الذي فطر السّموات والأرض، وهو فاتح الرّحمة وممسكها. أما قوله: (لمن بياسين)، فالموصول يعود عليه صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى:﴿ **يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3)**﴾، وفي ذلك بشرى للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وتعريض بالمشركين.ثم جاء قول الشّاعر: (في الحرب قد صفت الأملاك تنصره) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الصّافات:﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** (171) **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)** ﴾، وفيها بشارة للنبيّ صلّى الله عليه وسلم وللمؤمنين. ثم يذكر سورة (ص) في قوله (الأملاك

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 45/21،44.

[2] المرجع السابق ،173/21.

تنصره)؛ حيث يعود الضمير فيها على آدم عليه السّلام، لمّا سجد له الملائكة أجمعون،كما ورد في قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73)**﴾، أمّا ما ذكره الشّاعر من سورة الزّمر فهو ما جاء من ترهيب وموعظة، فمن لم يتعظ بما جاء في القرآن الكريم من عظات، فإنّه يدخل في سوق الزّمر "على حسب أنواع إشراكهم، وتصلّبهم في الكفر" كما ورد عند ابن عاشور، والهاء في (زمره) تعود على جمع الأعادي المهزوم.ثمّ يرتّب الشّاعر سورة غافر وسورة فصّلت؛ ويشير إلى غافر الذّنب وهو الله سبحانه وتعالى، كما يشير في هذا السّياق إلى سورة فصّلت، قال ابن عاشور:إنّ صفة (قابل التّوب) عطفت على (غافر الذنب) ولم تفصلا، لأنّ المذنب التّائب يجمع بين رحمتين، بين أن يقبل توبته فيجعلها له طاعة، وبين أن يمحو عنه بها الذّنوب، التي تاب منها وندم على فعلها، فيصبح كأنّه لم يفعلها...، فاستوفت هذه الفاتحة ما يطلب في فواتح الأغراض، ممّا يسميه براعة المطلع، أو براعة الاستهلال".

يواصل الشّاعر ترتيب سور القرآن الكريم في البيت التّالي، فيذكر ما ورد في سورة الشّورى﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)** ﴾، وفيها حثّ للمؤمن على هجرة متاع الدنيا وزينتها، والسّعي إلى سعي الآخرة لأنّ الله سوف يشكر سعيه ويربي عمله، ويضاعفه. وفي سياق ذلك ذكر سورة الزّخرف، وسورةالدّخان التي تضمنت قوله تعالى:﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)** ﴾، حيث وجّه الله خطابه لنبيه صلّى الله عليه وسلم، أن ينتظر مجيء العذاب الأليم بالدّخان. وفي البيت الأخير أشار الشّاعر إلى سورة الجاثية في قوله: (عزت شريعته البيضاء حين أتى)، التي تضمّنت قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18)** ﴾، قال فيها ابن عاشور: "قد بلغت هذه الجملة من الإيجاز مبلغا عظيما؛ إذ أفادت أنّ شريعة الإسلام أفضل من شريعة موسى، وأنّها شريعة عظيمة، وأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم متمكّن منها لا يزعزعه شيء في الدّأب في بيانها والدّعوة إليها ".

ثمّ رتّب سورة الأحقاف بذكر اسمها، وسورة محمّد في قوله: (بدر وجند الله قد حضره)، التي ورد فيها قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)** ﴾، فنصرهم لله المقصود منه نصر دينه، ونصر الرّسول صلّى الله عليه

وسلّم، وهذا فيه تحريض على الجهاد في المستقبل، بعد أن اجتنوا فائدته مشاهدة يوم بدر.

وفي هذه الأبيات أغنى الضّمير (الهاء) عن تكرار (المبعوث بالبقرة) أحد عشرة مرة، وهذا يترجم الإحساس الصّادق نحوه صلّى الله عليه وسلّم؛ فكلّما تدفّق هذا الشّعور تضاعف ذكر الحبيب المصطفى. والضّمير"أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلّمون للإحالة على كيانات معطاة"[1]كما يقول براون ويول، ولعب الضّمير دورا فعّالا في تناسق وترابط أجزاء المقطوعة،وظلّ يتردّد محقّقا نوعا من الاقتصاد اللّغويّ، وموضّحا أنّ المقصود هو (المبعوث بالبقرة) وهو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، مما بنى جسرا لغويّا حصينا، أوصلنا لنقف عند الدّلالة العميقة، وهي حبّ الشّاعر للرّسول صلّى الله عليه وسلم، وطمعه في شفاعته. فجعل له صورة في كلّ سورة قرآنية مرتّبة. والإحالة الضّميريّة جاءت كلّها قبليّة، إذ عيّن المحال عليه في البيت الأوّل، ثمّ تكرّر المحال في باقي الأبيات بذكر الضّمير، وتطابق المحال مع المحال عليه، من ناحية التّذكير والإفراد، طبقا لـ "وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحال والعنصر المحال عليه"[2].

وتوجد في هذه القطعة كذلك إحالة ضميريّة في الكلمات: (نساؤهم، استوضحوا، بها، ذكرهم، شهدوا، خرسوا، آذانهم)، كان الغرض منها الاختصار، وعدم تكرار المحال عليه. فضمير الجمع هم (نساؤهم)، يعود على نساء المسلمين وما تضمّنته سورة النّساء من تكريم لهنّ، في الحفاظ على حقوقهنّ، فكانت الإحالة البعدية في الأولى ، والإحالة القبلية في الثانية؛ فقد أحال الضّمير (هم) و (واو الجماعة) على الرّجال الذين استوضحوا ما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلم ، وثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ **النساء/127**،حيث "تقوم الضّمائر

[1] براون ويول،تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، تعليق: منير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية، ص 256.

[2] محمد خطابي، (2004م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، ص 17.

المتّصلة والمنفصلة بدور مهمّ في اتّساق الجمل والعبارات والملفوظات الكلاميّة والخطابيّة ربطا، وترابطا، وتلاحما، وتماسكا"[1].

3-الإحالة الإشاريّة والموصوليّة:

أما الإحالة الإشارية فتكون بأسماء الإشارة، والإشارة هي "الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة...، والإشارة أن تخصّص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر وسائر المعارف"[2]، وتكمن وظيفة أسماء الإشارة في تحديد مواقع الشّخوص في الزّمان والمكان داخل المقام الإشاريّ؛ فهي التي توضّح مدى القرب أو البعد من المتكلّم، فهناك أسماء يشار بها للقرب مثل (هذا)، وهناك أسماء يشار بها للبعد مثل (ذاك)، فاسم الإشارة كما قال ابن يعيش: "أنّك تشير به إلى ما بحضرتك ما دام حاضرا، فإذا غاب زال عنه ذلك"، وهي بذلك تشير إلى داخل النّص وخارجه،"بمعنى أنّها تربط جزءًا لاحقا بجزءٍ سابق، ومن ثمّة فهي تسهم في اتّساق النّصوص"[3]. ومن بين هذه الأسماء التي استخدمها الشّاعر، اسم الإشارة: (ذاك)، الذي ربط ربطا قبليّا بين ما سبقه وبين ما لحقه (ذاك الجود)؛ فقد أحال اسم الإشارة الدّال على المفرد المذكّر البعيد غير العاقل على الاسم الذي ورد بعده وهو (الجود)، وهي إحالة داخلية على قريب ، والغرض من إضافته في الجملة هو إنزال الجود منزلة الشّيء المحسوس، والإشارة إليه بإشارة محسوسة، لتمييزه عن غيره، وهو متوسّط في البعد، قال صفي الدين الحلي[4]:

وَما ذاكَ إِلّا أَنَّ يَومَ وَداعِنا °°° لَقَد غَفَلَت عَينُ الرَقيبِ عَلى رُغمِ

في البيت إشارة إلى الزّمن البعيد. وقد وظّف الشّاعر الإحالة باسم الإشارة مرّة واحدة في المقطوعة المختارة، في مقام الحديث عن سورة الأنفال و أحكام المغانم في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ **الأنفال/ 1**، والنفل ما كان زائدا عن المغنم، يصرفه أمير الجيش لمصلحة المسلمين، أو يعطيه لبعض أهل الجيش، وهو كما قال مالك والشّافعي وأبو حنيفة وسعيد بن المسيب زيادة على قسمة أخماس

[1] جميل حمداوي، (2019م)، النحو العربي في ضوء لسانيات النص، ط 1، ص 52.

[2] ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش،شرح المفصل، 3/ 126.

[3]ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

[4] صفي الدين الحلي، الديوان، دار صابر، بيروت، ص 17.

الجيش الأربعة من المغنم[1]، وإشارة الشّاعر إليه بـ (ذاك) دلالة على أنّه ليس بالقريب كالأخماس الأربعة التي هي من حق كلّ فرد من الجيش، لكنّه أبعد منها؛ فهي من خمس الإمام إذا رأى مصلحة في تنفيل بعض الجيش أو هي ما يجود به الإمام عن المغنم والفيء.

أما الإحالة الموصولية: فقد وظّف الشّاعر الأسماء الموصولة للرّبط بين عناصر النّص ، فجعلته متماسكا مترابطا، والأسماء الموصولة مبهمة تحتاج إلى ما يزيل إبهامها. قال ابن يعيش عن الاسم الموصول: "لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة"[2]، والمقطوعة التي بين أيدينا حفلت بالأسماء الموصولة، منها اسم الموصول الذي: (سبحان الذي، المكان الذي، النور الذي)؛ حيث ربط الاسم الموصول بمذكور سابق، وما بعده، بين (سبحان وفطره)، وبين (المكان ومن أجله عمره)، وبين(النور وشهدوا)؛ حيث قام الاسم الموصول (الذي) بتحقيق هدفه ، وهو الرّبط الواضح بين أجزاء الكلام. فالله فاطر كلّ شيء، قال تعالى على لسان هود: ﴿**يا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ **هود/ 51**، أمّا قول الشاعر : (المكان الذي من أجله عمره)، فقد جيء بالاسم الموصول (الذي) وهو بيت الله الحرام، فأدّى دور التّعريف والوصف، والرّبط الواضح بين مفردات الجملة، وفي قوله: (النّور الذي شهدوا)؛ حيث وصف النّور بالمشهود، وهو نور القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ **الأعراف/ 157**. ومن الأسماء الموصولة التي وظفها الشاعر كذلك، (مَن)؛ التي وردت مرتين، الأولى في قوله: (لمَن بياسين بين الرسل قد شهره)، ومَنْ الموصولة بمعنى الذي،"وتكون لذوات من يعقل... وما بعدها من الصّلة من تمامها[3]. أما الثانية في قوله: (مثل الدخان فيغشي عين مَن نظره)؛ فهي تربط بين عناصر الجملة، إضافة إلى ما تخلقه صلتها من تماسك. لذلك وردت خمس مرّات. فأدت إلى تحقّق سمة النّصيّة في النص،

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 250.

[2] موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج 3، ص138.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، عالم الكتب، بيروت، ص 133/3.

وارتبطت جمله اللّاحقة بالسّابقة،فشكّل بناء لغويّا منسجما،وأبان عن قدرة الشّاعر وملكته اللّغويّة في استعمال هذه الروابط.

4 ـ الإحالة بأدوات المقارنة:

المقصود بأدوات المقارنة" كلّ الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف، أو الإضافة إلى السّابق كمّا وكيفا، أو مقارنة"[1]، وقد حدّدت في الألفاظ: مشابه، علاوة على، بالإضافة إلى، أكبر من، كبير عن، مقارنة بما، أسوة بـ، فضلا عن، وغيرها، وهي إحالة غير مباشرة، وعدها الخطابيّ من وسائل الاتّساق، مثل الضّمائر وأسماء الإشارة[2]. والشّاعر في قصيدته استعان بمثل هذه الأدوات، للرّبط بين الجمل؛ ففي قوله:

ذو أمّة كدوي النّحل ذكرهم °°° في كلّ فجر فسبحان الذي فطره

وظّف الشّاعر المقارنة العامّة المتمثلة في كاف التّشبيه (كدوي النحل)، وهذا التّشابه اتخذ شكل التّطابق بين صوت ذكر أمته صلّى الله عليه وسلّم وبين دوي النّحل، حيث شبّه صوت الذّكر بدوّي النّحل لكثرة عدد الذّاكرين، وربط بالكاف بين جملة المشبّه والمشبّه به، فكان الرّبط بين جملتين، وكانت الإحالة على لاحق. أما في قول الشاعر:

أكابر الشّعراء اللُّسنِ قد خرسوا °°° كالنّمل إذ سمعت آذانُهم سُوره

الشّاهد فيه (كالنّمل إذا سمعت آذانهم سوره)، فكاف التّشبيه ربطت بين الجملة الأولى (أكابر الشّعراء اللّسن قد خرسوا) والجملة الثّانية، فنلاحظ التّطابق الكليّ بين المشبه والمشبه به، وقد تبيّن أنّ النّمل عندما يسمع صوت الملكة، يتوقّف عن الحراك فيرفع قرون الاستشعار لساعات طويلة دون الإتيان بأيّ حركة[3]، فالشّاعر شبّه عدم مقدرة هؤلاء بالإتيان بمثل القرآن الكريم، بالنّمل إذا خرست عند سماع صوت الملكة.

---

[1]أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كتاب إلكتروني،ص 25.

[2]محمد خطابي،لسانيات النص، ص 19.

[3]النمل يتكلم... بالصور، الموقع الالكتروني بتاريخ 2022/10/26.

https //www.kaheel7.com/ar/index.php

4-الإحالة السّياقيّة أو الخارجيّة (المقاميّة) (Exophorique) :

هي إحالة عنصر لغويّ داخل النّص على عنصر غير لغويّ خارج النّص، أو غير مذكور، أو موجود في الخارج، يقول تمّام حسّان: "وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف"[1]، هذا السّياق الذي يتضمّن الظّروف الخارجيّة،وحال المتكلّم والمخاطب، كما تشمل المقام بما فيه من عناصر حسّية ونفسيّة واجتماعيّة، كالعادات والتّقاليد ومأثورات التّراث، كذلك العناصر الجغرافيّة والتّاريخيّة، ممّا يجعل قرينة السّياق كبرى بحق[2]، فالخطاب يتأثّر بنمط المقام، ويتكيّف حسبه، حين يراعي المتكلّم أحوالَ المخاطَبِ، وظروفَه، فيستحضر المعنى في نفسه، والغرض منه (المقصديّة)، "والسّياق هو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم" [3]، لما يشمله من ملابسات خارجيّة تعين على توضيح قصده، فإذا ظهر مراده، ووضّح بأيّ طريقة كان العمل بمقتضاه [4]، قال روبرت دي بوجراند: "تعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق والإحالة لمتأخّر، وتعتمد الإحالة الخارجيّة على غير مذكور في النّص بل على مواقف مسلَّمة ومعلومة عند المتلقّي، والإحالة المقاميّة تسهم في ترابط النّص ورصّ نسيجه؛ فيتجه المتلقّي من خلالها إلى السّياق المقاميّ، ليتمكّن من فكّ شفرات النّص، لذلك نجد بلومفيلد (Leonard Bloomfild) يرى أنّ دراسة المعنى يجب أن تؤجّل إلى حين امتلاك الأدوات اللّازمة لذلك، فلابدّ من استقراء جميع المقامات التي تستعمل فيها اللّغة، فالسّياق يشكّل جزءًا مهمّا من دلالة النّص، ويوجهّه الوجهة الصّحيحة[5]، فالإحالة تقوم على مبدأ رئيسيّ هو مبدأ (التّناسب)،

---

[1]روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص 332.

[2]تمام حسان، (1992م)، البيان في روائع القرآن، (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، ط1، عالم الكتب، ص 221 ـ 222.

[3]ابن القيم الجوزي، (1996م)، بدائع الفوائد، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ص 815.

[4] ابن القيم الجوزي، (1991م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: عبد السلام محمد إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، 1991، ص 167.

[5] محمد حماسة عبد اللطيف، (2009م)، كيف نقرأ النص القديم التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه،دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 47.

وهو تناسب الإحالة التي ينشئها المبدع مع المخزون المعرفيّ للإحالات في وعي المتلقّي، لذلك لم يهمل المفسّرون الظّروف الخارجيّة والملابسات الحافّة بالنّص القرآنيّ، وأولوها أهميّة بالغة، فأشاروا إلى أسباب النّزول.

والشاعر في قصيدة "في كلّ فاتحة للقول معتبرة "، لم يهمل هذا النّوع من الإحالة؛ إذ القصيدة من أوّلها إلى آخرها تحيل إلى غير مذكور فيها، منه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والمصحف الشريف،والنحل، النمل.... كما أحال الاسم الموصول (الذي) على الله سبحانه وتعالى مرّة، وعلى مكّة المكرّمة مرّة أخرى،وأحالت (من) الموصولة في (من ذكره) على الخائف من الرعد، وأحالت كذلك (مَن) الموصولة إلى من ينظر إلى الدخّان في قول الشّاعر: (فيغشي من نظره)، وهو خارج النّص. إذن فالأسماء الموصول أدّت دورا واضحا في ربط أجزاء النّص وبنائه داخليّا وخارجيّا، فجعلت النّص متماسكا شكلا ودلالة. فالقصيدة موجّهة إلى متلقّ عارف بترتيب السّور القرآنيّة في المصحف، فنجده في كلّ مرة يتلّهف لمعرفة السورة المواليّة، والكيفيّة التي سيعبّر بها الشّاعر عنها، ورغم أنّ الشّاعر في بعض الأحيان لا يدخل اسم السّورة في سياق كلامه، إلّا أنّ المتلقّي يقف عندها ويستخرجها من هذا السّياق، ففي قول الشّاعر: (قد مدَّ للناسِ من نُعماه مائدةً)، يريد بكلمة "مائدة" سورة المائدة، وفي قوله:" لن يروّع رعدُ الخوف من ذكره" يقصد سورة الرعد، وهكذا نجد في ثنايا القصيدة أسماء السّور القرآنيّة مرتّبة. وبذلك تكون الإحالة المقاميّة هي الإطار العامّ الذي يُظهر المطلب الرّئيس من نشأة النّص، فهي " تُسهم في خلق النّص، لكونها تربط اللّغة بسياق المقام، إلّا أنّها لا تساهم في اتّساقه بشكل مباشر"[1]، كما نلاحظ أنّ أسلوب الشّاعر في التّعبير عن مقصده بديع، يعود إلى امتلاكه لأدوات ناصية التّعبير، فكان ذا قيمة اتّصاليّة نحوا ومعجما.

[1]محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

خاتمة:

من خلال هذه الدّراسة، نقف على بعض النّتائج:

- تحقّق التّرابط النّصيّ بفضل الإحالة، فتحقّقت النّصيّة في قصيدة الشّاعر.
- تُعدّ القصيدة نصّا ناجحا، لاحتوائه على الوسائل التّرابطيّة، فالشّاعر له ثقافة دينيّة، وثروة لغويّة واسعة مكّنته من أن يصول ويجول ويقدّم نصّه في أحلى وأبهى صورة، مرّة يذكر السّورة القرآنيّة كما ورد اسمها في المصحف، ومرّة يشير إلى ما تضمّنته السّورة، ليبعث في المتلقّي نشاطا ذهنيّا، ليوظّف ما له من خبرة سابقة.
- للشّاعر مهارة في توظيف الإحالة بنوعيها، متّصفة بالوضوح ومعربة عن قصده.
- الإحالة الخارجيّة تنشّط ذهن المتلقّي، ممّا يجعله دائم البحث عن المحال عليه، أمّا الإحالة الخارجيّة فهي سبب وجود النّص.
- يعدّ ضمير الغائب من العناصر المهمّة في دراسة الإحالة في القصيدة، وهذا يدلّ على اعتماد الشّاعر على أسلوب عدم التّصريح، فكان الضّمير لا يربط بين عناصر البيت فقط بل كذلك بين عناصر القصيدة.
- أكثر الضّمائر استعمالا هو ضمير الغائب المذكّر، وهذا راجع إلى أنّ المقصود هو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم الذي حقّ الثّناء عليه، ثمّ يأتي الاسم الموصول (الذي)، ثم الاسم الموصول (مَن)، بعده كاف التّشبيه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. الأزهر الزناد، (1993م)، نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي.
2. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص دراسة في الدلالة والوظيفة، الجزء الثاني، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية.
3. أحمد المتوكل، (2010م)، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.
4. أحمد المتوكل، (1996م)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية،دار الأمان، الرباط.
5. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كتاب إلكتروني.
6. بدر الدين بن جماعة، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: محمدمحمد داود، دار المنار، القاهرة.

7. براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، تعليق: منيرالتريكي، جامعة الملك سعود، السعودية.
8. تمام حسان، (1992م)، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، ط1، عالم الكتب.
9. جمال الدين بن هشام الأنصاري، (2005م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
10. جميل حمداوي، (2019م)، النحو العربي في ضوء لسانيات النص، ط 1.
11. ابن جابر الأندلسي، (1985م)، الحُلة السِّيراقي مدح خير الورى، تحقيق علي أبو زيد، ط2، عالم الكتب، بيروت.
12. روبرت دي بوجراند، (1998م)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
13. الزبيدي محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس، مادة (حول)، ط1، المطبعة الخيرية، مصر.
14. ستيفان أولمان، (1997م)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ط12، دار غريب، القاهرة.
15. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
16. سورة الإسراء، تفسير السعدي، الموقع الإلكتروني بتاريخ: 2022/08/23، https://read.tafsir.one/alsidi#pg_286
17. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري، (2006م)، غاية النهاية في طبقات القراء، نشره برجستراسر، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
18. صفي الدين الحلي، الديوان، دار صادر، بيروت.
19. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، دار ضياء، القاهرة.
20. صبحي الفقي، (2000م)، علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
21. عباس حسن، (2007م)، النحو الوافي، ج1، ط16، دار المعارف، القاهرة.
22. ابن فارس،(1979م)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مج1، ط2، دار الفكر.
23. ابن القيم الجوزي، (1996م)، بدائع الفوائد، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
24. ابن القيم الجوزي، (1991م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عبد السلام محمد إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية.
25. محمد حماسة عبد اللطيف، (2009م)، كيف نقرأ النص القديم التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه،دار الكتب المصرية، القاهرة.

26. ابن منظور، (1997م)، لسان العرب، مادة (حول)، ط6، دار صادر، بيروت.
27. محمد الأمين مصدق،(2016م)، الإحالة في ضوء علم اللغة النصيّ،مجلة اللغة العربية،الجزائر، العدد:3.
28. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (حول)، ط1.
29. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان النحوي الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج2، دار الفكر، بيروت-لبنان.
30. معجم اللغة العربية المعاصرة: الموقع الإلكتروني: بتاريخ: 2022/12/9،https://www.arabicterminology.com
31. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
32. مالك بن أنس، (2013م)، كتاب الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ج2، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، باب القول إذا سمعت الرعد.
33. محمد خطابي، (2004م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي.
34. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.
35. النمليتكلمبالصور،الموقعالالكتروني،بتاريخ:2022/10/26
https://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-19-30/194-2010-08-19-23-11-04
36. ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش،شرح المفصل، ج3، عالم الكتب، بيروت.